

رساله ان شاء الله

سید حسن بن دلداری لکهنوی

تصحیح عبدالحسین طالعی *

چکیده

نگارنده متن رساله خطی «ان شاء الله» نوشته سید حسن بن دلداری لکهنوی (۱۲۰۵ - ۱۲۶۰ ق.) دانشور شیعی هندی را بر اساس تنها نسخه خطی آن تصحیح کرده و شرح حال مختصری از نویسنده آن آورده است. وی در این رساله، عبارت «ان شاء الله» را از جنبه ادبی، بلاغی و کلامی توضیح می دهد.

کلیدواژه ها

رساله ان شاء الله (کتاب)؛ لکهنوی، سید حسن (۱۲۰۵ - ۱۲۶۰ ق.) - شرح حال؛ دانشوران شیعی هند - قرن سیزدهم؛ ان شاء الله - جنبه ادبی؛ ان شاء الله - جنبه کلامی؛ نسخه های خطی شیعی - هند.

این رساله، یکی از معدود آثار مکتوب علامه محقق مقدس زاهد ورع، سید حسن فرزند احیاگر تشیع در دیار هند، مرحوم سید دلداری علی است. این عالم مبرور در ۲۱ ذی قعدة ۱۲۰۵ در لکهنو زاده شد و در ۱۱ شوال ۱۲۶۰ در همان شهر درگذشت و در حسینیه سید دلداری علی

* پژوهشگر متون کهن اسلامی و عضو هیأت علمی دانشگاه قم.



به خاک سپرده شد. وی دقیقاً ۵۴ سال و ۲ ماه و ۲۰ روز در دنیا زیست.

نزد پدر بزرگوارش سید دلدار علی و برادرش سلطان العلماء درس آموخت. بسیار اهل عبادت بود، به گونه ای که در کتابهای تذکره و تراجم، غالباً با عناوینی مانند مقدس، ورع و زاهد توصیف شده است.

در شمار آثار مکتوب او یاد کرده اند:

۱. حواشی تحریر اقلیدس

۲. رساله در احکام اموات

۳. رساله در علم تجوید

۴. تذکرة الشیوخ و الشبان (در مواعظ و اخلاق)

۵. کتاب مبسوط در علم کلام. این کتاب به زبان هندی بوده و در وصف آن گفته اند: مشتمل بر فوائد جلیله و مطالب نبیله است. در ضمن آن حکایات لطیفه مشتمل بر صنایع و بدایع الهی و پند و نصایح و امثال آن بسیار مسطور است. وی عزم داشت که اگر اجل مهلت دهد، ترجمه آن را به فارسی و بعد از آن به عربی علی حده بنویسد و وصیت به تکمیل آن کرد. در زمان وفاتش کتاب تمام شده ولی مسوده بود، که برادرزاده اش سید محمد هادی فرزند سید مهدی بن دلدار علی (۱۲۲۸ - ۱۲۷۵) آن را کامل کرد.

۶. رساله حاضر. برای آن نام هایی گفته اند، مانند: «رساله عربیه در آنچه به ان شاء الله گفتن تعلق دارد» و «رساله ای در تحقیق تعلیق به مشیت الهی». در اینجا به اختصار، آن را «رساله ان شاء الله» نامیدیم.

سید حسن یک دختر داشت که همسر سید مرتضی فرزند سلطان العلماء بود و دو پسر از او بر جای ماند که هر دو سید حسن نام داشتند: یکی به سید حسن مهتا و دیگری به سید حسن مثنی شهرت یافت.

ماده تاریخ وفاتش را در بیت هایی آوردند، از جمله این دو بیت:

سید حسن آن سید عباد زمن در خلد برین رفت به گلگشت چمن

معنای حدیث از سر الهام بخوان «سردار جوانان جنان است حسن»

مفتی میر محمد عباس شوشتری عالم نام آور ہند، در رثای ایشان قطعہ ای سرود با مطلع:
یا رب چہ شیون است کہ در عالمی فتاد فریاد از غمی کہ دل مرد و زن گرفت
تا این بیت کہ مادہ تاریخ را بیان می کند:

سید بہ ارتجال رقم کرد سال فوت «زهد و ورع عزای جناب حسن گرفت»
این رسالہ ظاہراً در اواخر عمر کوتاہ این دانشور زاہد مقدّس بہ قلم آمدہ است. اہمیت آن
بہ نظر نگارندہ سطور، در این است کہ تک نگاری پرنکتہ ای است کہ یکی از کلمات کلیدی
فرہنگ توحیدی دین مبین را از جوانب مختلف و متنوع بررسی کردہ، گرچہ در تمام موارد بہ
اختصار سخن گفتہ است. نشر آن را گامی کوچک می دانم در راہی بلند کہ معرفت بہ توحید
است، آموزہ ای کہ می تواند صفحہ جان و جہان را دگرگونہ کند؛ معرفتی کہ اگر چنان کہ باید
و شاید حقّ آن ادا شود، آدمی دیگر را در عالمی دیگر پدید آورد.

نسخہ عکسی رسالہ را صدیق محقق جناب استاد علی فاضلی بہ این بندہ لطف فرمود
کہ سپاسگزاری از ایشان را بہ عہدہ دارم. شرح حال کوتاہی کہ در سطور بالا نوشتہ شد، نیز
از دو کتاب ارزشمند از عالمان ہندی اقتباس شد کہ ہر دو بہ تصحیح همان گرامی منتشر
شدہ است: کتاب ورثۃ الأنبیاء نوشتہ سید احمد نقوی (۱۲۹۵ - ۱۳۶۶ ق) و بخشی از کتاب
تذکرۃ العلماء نوشتہ سید مہدی بن نجف علی رضوی عظیم آبادی (زندہ در ۱۲۶۳ ق). این
دو کتاب در یک مجلد توسط مؤسسہ کتابشناسی شیعیہ در سال ۱۳۸۹ ش منتشر شدہ است.
در صفحہ عنوان نسخہ خطی رسالہ انشاء اللہ چنین آمدہ است: «هذه الرسالة الشريفة
والعجالة المنيفة من إفادات عمي المحقق والحبر المدقق البارع الورع العريف العلامة
الغطريف البذل الهمام فخر السادة الكرام زين العباد وسيد الزهاد يعسوب الأتقياء وسند
البرعة الأذكياء الذي قصرت عن مدائحه لسان اللسن جناب السيد حسن روح الله روحه
ونور ضريحه».

وکتب هذه الأحرف بيمنه الدائرة الوازرة أحوج المربوبين إلى رحمة ربّه الكريم محمد
تقيّ بن حسين بن عليّ المشتهر بالسيد دلدار علي عفا الله عنهم عصر يوم الإثنين السادس
والعشرين من شهر صفر سنة ۱۲۶۳ من الهجرة المقدسة».

رسالة ان شاء الله



ثواب نشر رساله را به نيابت از مؤلف بزرگوار آن به آستان آسمان ساي امام السرّ و العلن، حضرت حجة بن الحسن صلوات الله عليه و على آبائه پيشکش می کنم که رکن توحيد است و دوام ما خاکیان در مقام معرفه الله و قوام زندگي مادّي و معنوی ما به الطاف پدرانه اش وابسته است. دعای مستجاب حضرتش شامل حال همگان باد. آمين يا ربّ العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم؛ ربّ یسرّ و تمّم بالخیر. نحمدک يا من ناط الأشياء بمشيّته وجوداً وعدمًا، وعامل عبادۀ بالحلم والتسامح جوداً وكرماً، وأفضل الصلوة على أفضل المرسلين مزية محمد المصطفى، وخير التحیّات على خير الوصیّين، رتبة صنوه علي المرتضى، وعلى أهل بيتهم أهل العصمة والتقى الأئمة الأبرار موالی أولى النهی، من ركب سفینتہم نجی ومن تخلف عنه غرق وهوی. ونثني عليه حمداً على ما جعلنا من شیعتهم وراکبي سفینتہم. فأنتم يا معشر الشيعة لتدخلن الجنان إن شاء الله آمنين، ومخالفوكم يدخلن جهنّم داخرين.

بعد، فإني في بعض الأحيان، اتفق لي أن عدتُ بعض المتفقهين من الأعيان، حرسه الله تعالى عن ريب الزمان، فجرى بيني وبينه حكايات وكلمات، ثم انجرّ الكلام إلى ذكر بعض الشبهات، فقال إنّ تعقيب حكاية العبد لإرادته لإيقاع فعل من أفعاله بكلمة المشيئة، أعني كلمة إن شاء الله تعالى على مذهب الفرقة الحقّة، غير مستقيم، لكنّي لم أحفظ كيفية تقرير الإشكال، وبعد ما رجعت إلى مسكني حرّرت الإشكال، من تلقاء نفسي على وجهين، ثمّ أزحت الإشكال من البين، ورفعت حجاب الاعضال والإشكال عن وجه المرام بالنقض والإبرام.

فمن ذلك الوجهين أحدهما: ما يكشف عن مخالفة هذه الكلمة الشريفة لجلّ المذاهب وإن لم يخالف كلّها، هو أنّ إن الشرطية تصيّر معنى الماضي مستقبلاً على ما بين في مشاهير كتب النحو. قال ابن الحاجب: فإنّ للإستقبال ولو للماضي. قال الشارح الجامي: معناه أنّ إنّ للإستقبال سواء دخلت على المضارع أو الماضي، نحو: إن تكرمني أكرمك و إن أكرمتني أكرمتك. فمعنى المثال الثاني بعينه معنى المثال الأول. يعني: إن وقع منك إكرامي في الإستقبال، وقع منّي أيضاً إكرامك فيه. انتهى.

ومثله قال الشارح الرضي.

فتومي هذه الكلمة إلى حدوث إرادة الباري، عزّ اسمه و جلّ وجهه. وهو بظاهره مخالف لجلّ المذاهب.

الثاني ما يستلزم مخالفتها لمذهب العدليّة، فحسب هو ان تعقيب مشيئة الله تعالى جدّه وعُدِم نذّه في فعله تعالى غير مستقيم على معتقد العدليّة دون متخيّل الجبريّة، أجهل البريّة. والجواب عن الأوّل أنّ إن تستعمل تارة على ما بينوا وأخرى على خلاف مصرّح مشاهيرهم بنحوين آخرين؛

أحدهما أنها تدع الماضي على حاله، والآخر أنها تحوّل إلى الحال، وهما مخالفان لمقامهم غير خلف على الناظرين في أقوالهم.

والدليل على ما قلنا عقلي ونقلي. فالأوّل أنا نعلم بداهة أنّ العرب تضطرّ في بعض المقامات تضطرّ البتة إلى حرف شرط وجزاء لا يمكن استعمال أن على ما بينوا، وباقي حروف الشرط التي حصروها في كتبهم بالتتابع التام بخصوصياتها لا تليق ذلك المقام كما يظهر بالتأمّل في معانيها سوى أنّ بالمعنى الذي أوأمنا إليه.

ففي المقام المذكور ماذا تزعم؟ أتزعم أنّهم يسكتون حينئذ بعبارّة مع ميسس الضرورة والحاجة، وهو كما ترى محال عادي، أو تظنّ أنّهم يأتون بأحد هذه الأدوات مع عدم ملائمتها في المقام كما ستسمع إن شاء الله تعالى. ويتركون إن بالمعنى الذي قلنا مع الملائمة. أفلا تعلم أنّه كالمحال للعاقل الماهر بلغته أو تحسب أنّهم يعتبرون عنهما بحرف آخر غير ما حضر النحويّون بالتتابع البالغ وهو كما ترى بعيد غاية البعد عسى أن يكون منظوماً مع أخويه أو بأن [يأتوا] بالمعنى الذي أوأمأت إليه وهو المطلق^١.

فإن قلت: كما يبعد عده واطلاع علماء النحو على حرف آخر غير محصور بالتتابع التام

١ أعلم أنّ هذا النهج من الإستدلال ليس ببديع، فقد استدّل على هذا النهج بعض الأصوليين لكن هذا من المتانة والوثاقة بمكان وذاك ليس بذاك. فإنّ صورة استدلاله أنّ أهل اللغة وضعوا لجزئيات الترتيب المطلق الفاظاً، فوضعوا «الفاء» للترتيب على التعقيب و«ثمّ» للترتيب على التراخي. فوجب أن يضعوا لفظاً للترتيب المطلق لأنّه معنى تشدّد الحاجة إلى التعبير عنه ولأنّ الإحتياج إليه أشدّ من الإحتياج إلى جزئياته. وغير الواو من الألفاظ ليس موضوعاً له وفاقاً فتعيّن وضع الواو له وهو المدعى. انتهى وهو كما ترى. ولذا اعترض عليه العلامة رحمة الله عليه بالقدح في بعض المقدمات ولم يقدح فيه بكونه قياساً في اللغة فانقدح منه أنّ استدلاله هذا مع ما له وعليه كما هو سند لعدم كون ما في المتن بديعاً كذلك هو من مؤيّدات المقام. فتدبّر. منه مدّ ظلّه العالي

هكذا يبعد عدم اطلاعهم على الإستعمال الذي قلت.

قلت: إنما استبعدتُ الأوّل دون الثّاني لأنّ الأوّل لو كان لكان ظاهراً حسيّاً والثّاني خفيّ محتاج إلى التأمّل غير خفيّ على المتأمّل. فالأوّل لظهوره يبعد عدم ظهوره على المتتبّع الكامل، والثّاني لخفائه يمكن خفائه، فشّتان ما بينهما. وفي مثله قيل: «كم ترك الأوّل للآخر».

فإن سلّمت المقدّمات وتنحّيت عن الإنقياد إلى ما قاد إليه الدّليل، متمسّكاً بالقول السائر المشهور: «اللغة لا يثبت بالقياس»، قلنا:

أوّلاً: لو كان هذا القول بإطلاقه صحيحاً، لمّا أمكن استفادة الوجوب الذي لم يصرّح به أهل اللغة من صيغة الأمر بالدّليل العقلي المشحون به كتب الفقهاء.

وثانياً: إنّ المراد به مثل القياس الذي يقوله أهل السنّة المبتدعة، كما صرّح به أفضل المتأخّرين وخاتم المجتهدين، والدي العلّامة، الحبر الفهّامة، المولى الأملعي والسيد السند العلي، مولانا السيّد دلدار علي، أفاض الله عليه شأبيب الرحمة والرّضوان وأسكنه فراديس الجنان في كتابه منتهى الأفكار وغيره من العلماء، وليس هذا من ذاك. والأمثلة التي قد تضطرّ العرب إليها كثيرة، منها: قول الأمير إني أحقّ أمر سرقتك المدعى عليك في السنة الماضية من وكلائي في البصرة، فإن كانوا رأوك تسرق وتنهب مال زيد، مع قطاع الطريق واللصوص لأدبتك وعزّرتك بتأديبهم وتعزيرهم. وكقول الشفيع للمقيدة: إن كنت أرضعت ولد السلطان صدقاً أشفع لك عنده ستطلقين من القيود.

فإن قلت: لعلّ العرب في مثل هذه الحال تقول: إن ثبت عندي أو ظهر لديّ رؤيتهم سرقتك أو إرضاعك ولد السلطان.

قلت: مع أنّ مثل هذا لا يجري في أكثر المحالّ التي سنذكرها تأويلً وتركه للظاهر؛ منها قول الطبيب للمريض: إن أكلت أمس شيئاً شئناً من الغذاء كائناً ما كان بعد سوء الهضم والتّخمة لم ينفعك اليوم شيء من الدّواء وإن كان المعالج حاذقاً.

ومنها: قول العائد للمريض المقرّب أجله، المشكوك مذهبه: إن كنت معتقداً في حياتك لإمامة أمير المؤمنين عليه السلام وولايته والأئمة الأحد عشر من ولده عليهم السلام وعملت الصالحات، تفوز بالدرجات العلى وتنجو من أليم عذاب لظى.

ومنها: قول المفتي للمستفتي الآكل في شهر رمضان القائل له: أكلت اليوم لقمة من الطّعام

فما تحكمم في حقّي بهذا التحو: إن أكلتها عمداً فعليك كفارة الإفطار وإن أكلتها سهواً
فليس عليك بأس ولا شيء عليك.

فإنّا نعلم البتّة أنّ الجزاء موقوف على الشرط في هذه الأمثلة، ظهر على القائلين أو لم
يظهر، غير خفيّ على نبيه.

ويمكن استخراج الأمثلة الآخر بالتأمل، لكن فيه كفاية للمنصف لا محال، فلا تطول
الكلام بإيرادها، وقد يظنّ أنّ وجه عدم تصوير أنّ معنى الماضي مستقبلاً تخلّ؛ كان الدائمة
الملفوظة، بين إن والماضي الآخر كما في أكثر الأمثلة المسطورة أو المقدّرة كما في بعضها.
أقول: مع أنّ هذا المقال مجال مقال لا يصلح كلامهم لأنّ مفاده تصوير أنّ معنى الماضي
مستقبلاً أي فرد من أفرادها كان. وإخراج كان من هذه الكليّة منافيّ لكلامهم ورجوع إلى مثل
ما قلنا، بل إلى نوع منه.

وبالجملة إن كان هذا إصلاحاً لكلامهم، فليس بإصلاح كما دريت. وإن كان إفادة لفائدة
جديدة فمسلّم، لكن تخصيصه بالدائمة محلّ بحث، كما يظهر بالتأمل في الأمثلة.

ولنعد إلى إيفاء ما وعدنا بيانه آنفاً [و] هو أنّ أدوات الشرط التي يذكرونها في مباحث
مسرودة، منها أن ولو وأما ولولا وأما وإذا وإذما وإذا وأين وأينما وحيث وحيثما وريث
وريشما ومتى وأيّ ومهما ولما وغيرها من الظروف التي تتضمّن معنى الشرط؛ ومن وما ومن
ذا وماذا كلّها مشتركة في أصل المعنى الشرطي، الذي هو تعليق وقوع الثاني على وقوع الأوّل.
وأكثر أفرادها مختصّة بخصوصيات لا توجد في غيرها. فالظروف مع اشتراكها في أصل
المعنى مختصّة بإضافة ذلك المعنى إلى فرد غير معيّن من أفراد الظرف زمانية وغير زمانية،
بحيث لا يمكن استعمالها في المعنى الشرطي الصرف.

ومع التجريد من هذه الخصوصية وغيرها عن ذلك عريّة وكذا الموصولات منها مع
اشتراكها في أصل المعنى مختصّة باشتغالها على إضافة ذلك المعنى إلى فرد مبهم من أفراد من لا
يعقل ومن لا يعقل، بحيث لا يجوز استعمالها في المعنى الشرطي الصرف وغيرها عنه خلية ولو
لتعليق أمر على آخر مع الإيماء إلى القطع بانتفاء اللازم لانتفاء الملزوم.

وكلمة لولا على عكسه، ولا يجوز استعمالها في المعنى الشرطي البحث، الذي هو مجرد

بالتأمل

رسالة أن شاء الله



عن الإيماء المذكور، وإنّ لتعليق وقوع فعل على آخر بدون إضافته إلى فرد من أفراد الظرف وأشخاص من يعقل ومن لا يعقل من غير إيماء إلى انتفاء اللازم أو تحققه بحيث لا يجوز استعمال أن في تلك المواضع المشار إليها ولا استعمال غير أن في هذا الموضع، فاستعمال أن في مواضع الحروف الأخر، واستعمالها في موضع إن غير ملائم ومتنافر غاية التنافر لا يمكن صدوره من الماهر باللغة.

فإن قلت: قولك هذا دعوى بلا بينة، فإننا نرى ضرورة أنّ في مقام «إن تضرب أضرب» بالاستعمال الإستقبالي و«إن ضربت ضربت» بالاستعمال الماضي، قولك «من تضرب أضرب» و«أنتي تضرب أضرب» و«متى تضرب أضرب» و«أين تضرب أضرب» و«حيثما تضرب دضرب» في الإستعمال الإستقبالي؛ و«من ضربت ضربت» و«متى ضربت ضربت» وقس عليه في الماضي صحيح ومجوز ومؤدية مؤداها بأدنى تفاوت كثير، إمّا يتسامح بمثلها بل بما فوقها ومن يدعي خلافه فعليه البيان.

قلت في جوابه: إنّا لا ندعي البتة أنّ إقامة إن مقام الأدوات الأخر وإقامتها مقامه غير جاز، لكن في بعض المقامات لا يجوز ذلك من ممن عرف لغة العرب، وفي بعضها لا يجوز من الفصيح البليغ.

وتحقيق الحق وتفصيل المقام يقتضي بسطاً من الكلام لاشتماله على فوائد جمة أثرت الإطالة على الوجازة هو أنّه كما يكون لأن استعمالان ما فتوى مستخرج وإستقبالي مشتهر كذلك لأكثر أدوات الشرط استعمالان إستقبالي مشهور، وفي كتب النحو مذكور وآخر ماضوي.

والكلام الجامع لأمثلة تلك الأدوات أن يقول التابع للمتبوع ما زلت متابعا لك في الأقوال والأفعال، لما تكلمت تكلمت، ومتى أمسكت أمسكت، ومن ضربت ضربت، وبما ضربت ضربت، وأينما جلست جلست، وحيثما قمت قمت، وريثما سرت سرت، وإذا أكلت أكلت، وأي رجل خاصمت خاصمت، وأيما ركبت ركبت، وأين وجهت توجهت، وماذا أمرت امتثلت أمرك، ومن ذا قاتلته قاتلت.

ومن مؤيدات المقام، قول والدي العلامة نور الله ضريحه في أساس الأصول، فحيث رأيت

الحال على ذلك المنوال، أوجبت على نفسي التعمق والتدبر في هذا الباب، وفي ديباجة الشهاب الثاقب. فلما رحل الرسول المختار، خرج من الكمين الأغيار.

وفيهما أيضاً: إذا بلغت إلى مأمون الخليفة نوبة الخلافة، فطلب كتب الفلاسفة.

وأيضاً فيها: فلما وصلت تلك الكتب إلى بلاد الإسلام، فشت الضلالة والإلحاد.

وقول صاحب التلخيص: فلما كان علم البلاغة وتوابعها من أجل العلوم قدراً، وكان القسم الثالث من مفتاح العلوم أعظم ما صنف فيه، لكن كان قابلاً للاختصار، مفتقراً إلى الإيضاح، ألّفت مختصراً.

وقول شارحه في المطول: لما ظرف بمعنى إذ، يستعمل استعمال الشرط. وألّفت جواب لما، أي كان ما تقدّم سبباً لتأليف المختصر.

وقوله أيضاً: ولما انجرّ كلامه في آخر المقدمة إلى انحصار المقصود في الفنون الثلاثة صار كلّ منها معهوداً، فعرفه تعريف العهد. انتهى.

وظيّ أنّ هذا الإستعمال ممّا لا يكاد يُنكر، وإن أنكر منكّر فليُنكر، فليس لنا ضرورة تدعو إلى إثباته.

بل نتكلّم على الشّقين ونقول: لا يخلو إمّا أن يكون هذه الأدوات استعمال إستقبالي وماضوي كلاهما، أو إستقبالي فقط. والنظر الدقيق يقسّم الماضي أيضاً إلى قسمين:

أولهما أن يكون الشرط والجزاء كلاهما بمعنى الماضي، كما إذا استفسر السلطان من بعض وزرائه حال زيد بأنك: ما فعلت بزيد أمس؟ فيجب الوزير بهذا التحو من الكلام: أيّها السلطان! إني كنت لك متابعا في فعالك، إن عظمته فقد عظمته، وإن أهنته فقد أهنته؛ أو قال: لم لم تحضر في الغزوة الفلانية؟ فيجيب: والله إني كنت حاضراً في تلك الغزوة، وكيف يمكن [يمكنني] أن أخليّك في مثل هذه الواقعة، فيقول السلطان: إني أحقّق هذا الأمر من أصحابي الذين حضروا تلك الواقعة، ولتعلمنّ أمرك هذا لا يخفى على أصحابي، فلا تكذبنّ في ذلك، لأنك إن كنت حضرته لراك بعض أصحابي، وإن لم تحضرها، لم يروك.

وثانيهما أن يكون الشرط بمعنى الماضي، والجزاء بمعنى الحال والاستقبال كالأمثلة المذكورة آنفاً.

بني الثاقب

رسالة أن شاء الله





ومن هذا القسم قول القائل: إن شمت شمت فمالك، وما شأنك تتعرضني لست بقاضٍ ولا حاكم.

ولا يخفى أنَّ المثال الأوّل من القسم الأوّل، والثاني من الثاني يمكن التعبير عنهما ببعض الأدوات، كأنَّ يجاب: متى عظمت عظمته، أو يجاب بأنّه ما فعلت به فعلتُ به، في الأوّل من الأوّل. ويقال في الثاني من الثاني: فعلت ما فعلت، فما لك تتعرضني؟ وأمّا في الثاني من الأوّل والأوّل من الثاني، فلا يمكن التعبير بغير إن من الأدوات؛ والدليل عليه إجمالاً أنّه من تأمل معاني تلك الأدوات بالنسبة إلى تلك المثالين، وراجع الوجدان لوجد المدعى كالعيان.

وثانياً، وهو بالحلّ والتحقيق، هو أنَّ التعبير بالشرط والجزاء قد يكون في مقام الشك الحقيقي وقد يكون لتشكيك السامعين، حيث يكون الأمر في نفس الأمر متحققاً بدون تردد وشك، والشك الحقيقي قد يتعلّق بالأمر الإستقبالي.

فحينئذ وإن أمكن التعبير عن الشرط والجزاء بجميع أدوات الشرط بالتسامح، لكنّ العرب العرباء والبلغاء، فلرعايتهم الدقائق وخصوصيّات المعاني، لا يكادون أن يتجاوزوا عن محلّ بعض الحروف إلى محلّ غيره لافضائه إلى إهمال النكات وخصوصيات المعاني وهم أهلها. وقد يتعلّق بالماضي بالتعبير عن الشرط والجزاء حينئذ بأن متعيّن لأنّ الأدوات الأخر إمّا لها استعمال ماضويّ أو لا. فعلى الثاني لا يمكن البتة إقامتها مقامه كما لا يخفى.

وعلى الأوّل أيضاً لا يمكن الإقامة لأنّ أدوات الشرط ضرورة سوى أنّ على الاستعمال الماضوي - سواء كانت باقية على المعنى الشرطي أم منسلخة عنه - تدلّ على تيقّن وقوع الأفعال في نفس الأمر، ولو وإن كان للماضي لكتّها تدلّ على انتفاء الشرط بالبتّ وهو منافٍ للشك والتردد، فلا يمكن الإقامة من الماهر باللغة.

وقد يضاف إلى الشك أمور آخر مانعة من إقامة بعض الأدوات، مقام بعضها من خصوصيّات الأدوات ومشخصات المقام كتعيين الفاعل والمفعول، كما في الأمثلة المسطورة. فلا يمكن إقامة من فيها للإبهام والتشكيك يتعلّق بالماضي تارة وبالمستقبل أخرى. فإذن يمكن التعبير بالشرط والجزاء بأدوات الشرط كلّها إن لم يمنع هناك مانع خارجي بالجملة.

فحيثما يمكن التعبير بأدوات الشرط كلّها أو جلّها في الاستعمال الماضي من الأمثلة المسطورة فهو من مقام التشكيك، وحيثما لا يمكن التعبير إلّا بأن في الاستعمال الماضي، فهو من مقام الشك. والأمثلة التي تضطرّ العرب إليها من هذا القسم، فانقدح بهذا التحقيق أنّ استعمال الأدوات الشرطيّة سوى إن، لا يمكن في الاستعمال الماضي التردّدي وهو المطلق. وقد أفصحت عن الحقّ حقّ الإفصاح، واستغنيت عن المصباح بالإصباح، فاطف المصباح فقد طلع الصباح.

والدليل النقلي على ذلك على وجهين:

أولهما مشوب بالعقلي، وهو أنّه إن لم يكن استعمال إن في ما أشرنا إليه صحيحاً لزم عدم فصاحة القرآن المجيد وبلاغة المجمع عليها، التي عجز العرب العرباء عن مقابلة أدنى سورة وأقصر كلمة.

وجه الملازمة أنّ موافقة القياس النحوي شرط في فصاحة الكلام، وفصاحة الكلام شرط بلاغته أو شطرها.

وأن في قوله تعالى في سورة الأنبياء: «فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون»، وفي قوله سبحانه في تلك السورة: «لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتّخذناه من لدنا إن كنّا فاعلين»، وفي قوله تعالى في تلك السورة: «يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين»، وفي سورة يوسف عليه السلام: «إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل»، وفيها: «إن كان قميصه قدّ من قبل فصدقت» وغيرها من الآي مستعملة بالمعنى الذي استنبطناه، فتكون هذه الآي مخالفة للقياس النحوي، فتصير غير فصيحة، وغير الفصيح غير بليغ بما دريت. وهو مخالف للمجمع بين الأئمة، المجمع بين الأئمة حجيته.

وثانيها كالحالص أنّا تتبّعنا كلام فصحاء العرب المتواتر النقل لفظاً ومعناً، فوجدنا إن مستعملاً بالمعنى الذي قلنا، وجلّ قواعد النحو، بل كلّها مستنبطة من التتبّع كذلك. منها: الآي الذي سبق ذكرها آنفاً.

ومنها: ما وقع في الدعاء الثامن والعشرين من تعقيب كلّ صلوة من كتاب مقباس المصابيح لمولانا المجلسي رحمه الله: «إن كان مَنّي تقصير في ما مضى فإني أتوب إليك منه.».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رسالة أن شاء الله





ومنها: ما وقع في الدعاء الخامس من تعقيب الظهر من الكتاب المذكور: «إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقيّاً محروماً مقتراً عليّ في الرزق، فامح من أم الكتاب شقائي وحرمانني». وفي خامسة الميّت: «إن كان محسناً فزد في إحسانه، وإن كان مسيئاً فتجاوز عنه واغفر له». وفي الدعاء الموظف في كلّ يوم من شهر رمضان: «إن كنت قضيت في هذه الليلة تنزل الملائكة - إلى قوله: - أن تجعل اسمي في السعداء».

وفيه بفاصلة يسيرة: «وإن لم تكن قضيت في هذه الليلة تنزل الملائكة والروح فيها فأخبرني إلى ذلك»

وفي وداع الشهر المذكور: «إن كان بقي عليّ ذنب لم تغفره لي أو تريد أن تعذبني - إلى قوله - إلا وقد غفرته لي».

وفي دعاء شعبان: «اللهم إن لم تكن غفرت لنا في ما مضى من شعبان، فاغفر لنا في ما بقي منه».

وبعد تحرير المرام وتحقيق المقام، راجعت إلى الباب الثالث من تلخيص المفتاح وشرحه المطول، فوجدت فيه كلاماً مؤيداً للمرام، بل مصرّحاً لأحد قسمي المدعى، فحمدت الله وأثنت عليه، هو ذا:

«وقد نصّ المبرد والزجاج على أن لا تقلب كان إلى معنى الاستقبال وذكر كثير من النحاة أنّه إذا أُريد إبقاء معنى الماضي أنّ جعل الشرط لفظ كان، نحو: «إن كنت قلته فقد علمته»، و «وإن كان قميصه قد من قبل»، فلذا ذكر صاحب الكشف في قوله تعالى: «وإما يُنسينك الشيطان فلا تقعد - إلخ» أنّه لا يجوز أن يراد إن كان الشيطان يُنسينك قبل التهيّج بفتح محالسة المستهزئين لأنّه ممّا ينكره العقول، فلا تقعد بعد أن ذكرناك قبّحها، فلمّا أراد جعل الشرط ماضياً قدر كان». انتهى.

والقسم الثاني من الدعوى أعني تحويل إن الشرطية الماضي إلى الحال، وإن كان لفظة كان، أو إبقائها المضارع على الحال وإن كان مع لفظة كان؛ ممّا لا يمكن إنكاره، لأنّ معنى قوله تعالى: «فاستلوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون»: استلوههم إن كنتم الآن متّصفين بالجهل.

وكذا معنى قوله تعالى في الجزء السابع: «اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»: اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ موصوفين بالإيمان في الحال. وكذا قول القائل للمتردد في المسير وهو على جناح السفر: «إِنْ كُنْتَ تَرِيدُ الْمَسِيرَ - أَوْ إِنْ كُنْتَ مَرِيداً لِلْمَسِيرِ - فَسِرْ مَعَنَا»، فنعلم ضرورة أَنَّ هذا استفسار من إرادته الحالية، دون الإستقبالية والماضوية.

وكذا قول الطبيب والصديق للرجل المستجيز اغتساله: «إِنْ كُنْتَ مَرِيضاً فَلَا تَغْتَسِلْ، وَإِنْ كُنْتَ صَحِيحاً فَاغْتَسِلْ».

ومثله قول القائل للمخاطب: «إِنْ كَانَ زَيْدٌ أَبَاكَ فَلَا تَشْتُمِهِ وَلَا تَضْرِبْهُ، وَإِنْ كُنْتَ صَدِيقاً فَلَا تَسْعَ إِلَى السُّلْطَانِ»

وبعد كَيْتَ وَكَيْتَ لِمَا تَمَهَّدَ هَذَا، فنقول:

أَنَّ كَلِمَةَ كَانَ بَعْدَ إِنْ الشَّرْطِيَّةِ مَقْدَرَةٌ فِي الْكَلِمَةِ الشَّرِيفَةِ أَعْنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، فَلَفْظُ إِنْ الشَّرْطِيَّةِ إِذَا تَرَكَ الْمَاضِي عَلَى مَعْنَاهِ الْمَاضِي الَّذِي هُوَ الظَّاهِرُ فِي التَّعْبِيرِ عَنِ الْقَدِيمِ، وَهُوَ هُنَا مَشِيَّتُهُ تَعَالَى أَوْ حَوْلَهُ إِلَى الْحَالِ، وَهُوَ أَيْضاً جَائِزٌ فِي التَّعْبِيرِ عَنِ الْقَدِيمِ الْبَاقِي. وَإِنَّمَا قَدَّرْنَا لَفْظَةَ كَانَ لِيَكُونَ أَنَّ مُسْتَعْمَلاً فِي الْمَعْنَى الْمُسْتَخْرَجِ، فَلَا يَثْبُتُ بِهَا حَدُوثُ الْمَشِيَّةِ الَّذِي تَقَوَّهَ بِهِ الْمَعْتَرِضُ وَلَا يُلْزَمُ مَخَالَفَتُهَا لِحُلِّ الْمَذَاهِبِ.

هَذَا كُلُّهُ عَلَى مَذْهَبِ الْقَائِلِينَ بِقَدَمِ إِرَادَتِهِ تَعَالَى، وَأَمَّا مَنْ لَا يَتَحَاشَى عَنْ حَدُوثِ إِرَادَتِهِ فَالْأَمْرُ عَلَيْهِ هَيْئٌ، لَكِنَّهُ أَيْضاً فِي دَفْعِ الْإِشْكَالِ الثَّانِي يَحْتَاجُ إِلَى التَّأْوِيلَاتِ الَّتِي سَنَذْكُرُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

بَقِيَ أَمْرٌ، هُوَ أَنَّ يُقَالَ: لَا يَثْبُتُ بِمَا ذَكَرْتُ إِلَّا اسْتِعْمَالُ أَنَّ فِي لِسَانِهِمْ فِي الْمَعْنَى الْمَشَارِ إِلَى اللَّهِ، وَالِاسْتِعْمَالُ أَعَمُّ مِنَ الْحَقِيقَةِ، فَكَيْفَ يَصَارُ إِلَى غَيْرِ الْمَشْهُورِ وَيَتَرَكَ الْمَعْنَى الْحَقِيقِي الْمَشْهُورَ؟ قُلْنَا: لَا نَدَّعِي كَوْنَهُ حَقِيقاً وَلَا مَجَازِيّاً كَذَلِكَ، بَلْ نَقُولُ: أَنَّهُ مِنْ مَعَانِيهِ، وَإِذْ لَمْ يُمْكِنْ إِرَادَةُ الْمَعْنَى الْحَقِيقِي الْمَشْهُورِ هُنَا، جَاوَزْنَا مِنْهُ إِلَى غَيْرِ الْمَشْهُورِ وَصَرْنَا إِلَى اللَّهِ. وَكَيْفَ لَا يَجُوزُ الْمَصِيرُ إِلَى الْمَعْنَى الَّذِي قُلْنَا مَعَ عَدَمِ تَيَقُّنِ مَجَازِيَّتِهِ، وَقَدْ جَوَّزُوا الْمَصِيرَ فِي مِثْلِ هَذَا الْحَالِ إِلَى الْمَجَازِ الْقُطْعِيِّ، فَمَا صَرْنَا إِلَى اللَّهِ مَجَازَ قُطْعِي هُنَا.

وَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: إِسْتِفَادَةُ حَدُوثِ إِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ ظَوَاهِرِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ لَا مُحِيطُ

بِشَيْءٍ

رسالة أن شاء الله





عنها، فإنّ قوله تعالى: «إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون»، نصّ على الحدوث ولا مجال لأحدٍ أن ينكر ذلك ولا يمكن إجراء ذلك التحقيق فيه لعدم ثبوت الاستعمال الماضي بالتحقيق المذكور وغيره للفظه إذا الشرطية، فلا يحسم هذا التحقيق مادّة الإشكال.

قلنا في جوابه: إنّ التحقيق هو أحد التأويلات للإشكال الوارد على هذه الكلمة الشريفة لا جواب له، وحاسم مادّته حيثما يورد.

والجواب الإجمالي الحاسم للمادّة والقانع للأصل أنّه تعالى ربما يتكلّم على حسب تكلم الناس ودأبهم. مصدّق قولي هذا قوله تعالى:

«أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم»

و«ليمحصّ الله ما في قلوبهم»

و«ليبلوكم أيكم أحسن عملاً»

فكذا في هذه الكلمة تكلم بإذا المستعملة في محاوراتهم في الأمور الإستقبالية المستلزمة لحدوث متعلّقها في إرادته تعالى بحسب دأب تكلمهم.

والحلّ أنّه أراد من الإرادة المصادفة لمصلحة وجود المعلول ووجوده، أعني علته التامة، ولا شبهة في حدوث هذه الإرادة بهذه الحيثية، وكأنّها المعبرة بالتعلّق الحادث في كلام بعض المتكلمين وإلاّ لقدّم المعلول بقدمها لاستحالة انفكاك المعلول عن علته التامة ومن هنا اتّضح ولاح أنّ إن في إن شاء الله تعالى إن كان مستعملاً في المعنى المشهور بأوّل بهذا التأويل، إن استعمل في أفعاله تعالى وإن استعمل في أفعال العباد، يراد من المشيئة تخليتهم وتوفيقهم، وذلك أيضاً حادث البتة.

والجواب عن الإشكال الثاني أنّ قوله غير مستقيم، غير مستقيم. إلاّ إذا أُريد من الإرادة إرادة الفعل التي هي من مقدّمات إيجاد القادر المختار. وأمّا إذا أُريد منها ما يراد في الرضا كما يفسّرونها به في قولهم: «أراد الله من العباد الطاعات وكره المعاصي والقبايح»، أو يقال: إنّ المشيئة والإرادة والقدر والقضاء بمعنى النقش في اللوح المحفوظ، كما حكاه فخر الدين صاحب مجمع البحرين عن بعض أفاضل العلماء، أو يراد تهية الأسباب البعيدة لفعل العبد أو عدم المانع، والتخلية بينه وبين فعله على سبيل الحقيقة أو التجوّز، لم يكن فيه عائبة، ولا منافاة لمذهب العدلية.

هذا كله على تقدير التجوّز في الإرادة التي هي المسند في الكلام، ويمكن ابقائه على الحقيقة وارتكاب التجوّز في متعلّقه، أعني فعل العبد فيراد به سببه البعيد، فيكون المسند والمسند إليه والإسناد الفاعلي والإيقاعي على الحقيقة، ويرتكب التجوّز فيها فحسب، كما يقولون في «أجريت التهر»^١

وبقي بعد في النفس إشكالان:

الأول: أنه إذا قال تارك الصلاة: «أصلي غداً إن شاء الله» أو فاعلها: «أصلي الظهر في وقت الفضيلة»، أو: «ادعوا بالدعاء الفلاني إن شاء الله تعالى»، فغشي عليهم حتى فات منهم الأفاعيل، فالفوت يكشف عن عدم تعلّق مشيئته تعالى بفعل تلك الخيرات بجميع التفسيرات لدلالة انتفاء اللازم على انتفاء الملزوم؛ بل ظهر تعلّق المشيئة التي هي من مقدّمات الإيجاد بترك هذه الخيرات لفعله تعالى سبب الترك أعني الغشي، وتعلّق المشيئة بهذا المعنى بنقيض الخيرات وعدم تعلّقها بمعنى الرضا بالخيرات قبيح لاستلزام الأول فعل القبيح والثاني عدم الرضا بالخيرات، وكلاهما قبيحان.

والثاني وهو مبني على بعض التفسيرات كالرضا وهو أنه قال العدلي أو غيره: «أصلي الظهر في وقت الفضيلة وأعتق نسمة وأصوم الجمعة وأكفر عن الإفطار غداً مثلاً إن شاء الله تعالى»؛ فقد عبّر عن مشيئة الله تعالى جّل ثناؤه، المتعلّقة بتلك الخيرات باعتقاده قطعاً بحرف التشكيك الذي هو منافٍ لمذهبه، لأنّ الخيرات بأجمعها مرادة ومرضية لله سبحانه عند الكلّ. يمكن الجواب عن الأول بوجهين:

أولهما أنه إذا كان سبب الترك عنه [منه] سبحانه فعلى قواعد العدلية لا بدّ أن يكون حسناً، فتعلّق المشيئة بأي معنى كان به غير ضارّ، ولا يلزمنا التفتيش عن وجه حسنه. والثاني أنّ الخيرات كلّها في الجملة مرضية وأما على إطلاقها فغير مرضية، لأننا نعلم ضرورة أنّ الصلوة مع العجب والرياء والجنابة والحيز والثوب النجس والبدن القذر مثلاً غير مرضية. فعدم تعلّق المشيئة بفعلها وكذا تعلّقها بتركها غير مضرّ؛ فالصلوة في هذه الأوقات لو وجدت، لكانت مشتملة البتة على مثل هذه المحذورات، وإلا لما أثر الله تعالى شأنه سبب تركها

١ وكيف كان فلا تغفلنّ من أنّه على بعض هذه التأويلات يمكن إبقاء لفظة أنّ على المعنى الإستقبالي المشهور في الكلمة الشريفة كما إذا أريد من المشيئة تهية الأسباب وغيرها من الأمور الحادثة، وعلى بعضها لا بدّ من كون أنّ مستعملاً في المعنى الماضي المستخرج كما أنما أريد من المشيئة القضاء والقدر وغيره من المعاني القديمة.

وحسن التوفيق والتخلية بين العبد وفعله الخير أيضاً منوط بالمصلحة، وهي تختلف بحسب اختلاف الأشخاص والأزمان والحالات.

والتفصيل يقتضي بسطاً في الكلام لا يسعه المقام.

والجواب عن الثاني أيضاً يمكن بوجهين:

أولهما: أننا ما ذكرنا عدّة تفسيرات للمشية إلا ليستقيم تعقيها في جميع المواضع، أي ليستقيم ببعضها بعض، وبالأخر آخر، أو ببعضها كلّها، لا كلّها بكّلها.

وثانيهما: أنّ الخيرات كلّها في الجملة مرضية وأما على إطلاقها فليست بمرضية حتى يلزم المنافاة بشكّه في كون بعض أفرادها مرضية.

وقد يؤوّل أنّ التي في الكلمة الشريفة بإذ وقد، كما حكاه أيضاً صاحب مجمع البحرين والقاموس المحيط. لكنّه لا يمكن إجراؤه إلا فيما إذ استعملت في مقام اليقين، كما اتّفق استعمالها في بعض الأحاديث بعد بيان الحكم الشرعي، وكما جوّز استعمالها في الأمور المنقضية كما في الأخرى.

ولا تحسّن الأمثلة المسطورة هنا من هذا القبيل، وإن أريد من المشية الرضا، الذي هو أحد معانيها لكون استعمالها فيها في مقام الشك، كما يظهر بالتأمل في أجوبة المقام.

تنبيه:

لما كان الله سبحانه وتعالى منزهاً ومقدّساً عن فعل القبائح والمعاصي، فكما لا يجوز إسنادها إلى الله تعالى على سبيل الحقيقة، كذلك لا يجوز إسناد المشية المتعلقة بها إليه سبحانه، وإن أمكن إسنادهما إليه جلّ ثناؤه بضرٍ من التجوّز، كما يرتكب في إسناد الفعل الحسن للعبد إليه عزّ اسمه.

فلعلّ الناس لسوء الأدب ومنافاته لكمال التنزيه والتقديس يتركون ذلك الإسناد، ومن هاهنا تراهم أنّهم لا يعقّبون إرادة المعصية بتلك الكلمة الشريفة.

تمّت الرسالة بعونه تعالى ٨ شهر ذى قعدة سنة ١٢٦٠.

مجمع البحري

فصلنامه تخصصي كتابخانه‌ای و نسخه‌شناسی
شماره ١٨ | تابستان ١٣٩٤ | سال نهم و بیستم

